داعمة لها ومساندة، بل ومتحالفة معها.

هل كان بالامكان وقف هذه «التجاوزات» و«الاخطاء» المسمّاة كذلك طيلة سنوات؟؟ أو أنها ــ في حقيقتها ــ عبرت عن خلل في بنية التحالفات السياسية الأساس القائمة على الساحة اللبنانية؟ أم تراها كانت تطال البنى نفسها التي نأت عنها هذه التحالفات، وما أنتجته من سلوك سياسي وفردي يومي؟

لا يرغب هذا المقال في بحث هذه التساؤلات الآن، لكنها دون شك، ساهمت كلها في نمو وتضخم هذا الاتجاه الثالث الذي رأى في «مهادنة» اسرائيل، والسكوت عما تفعله، فرصته للخلاص من ظروف بدت في لحظاتها الأخيرة وكأنها تقوده الى طريق مسدود، ودونما أفق للخلاص. بعدما انهار البرنامج الوطني الديمقراطي للاصلاح في لبنان تحت وطأة الرغبة في الوفاق اللبناني غير المستند الى أساس جدّي، وتحت تأثير انحسار موجة القتال ضد اسرائيل بعد وقف النار المتتابع المراحل في لبنان، منذ الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٧٨، وما تلاه من توسع وانتشار لقوات الطوارىء الدولية، اضافة الى أسباب عدّة أخرى وكثيرة.

وكائناً ما كان الأمر، فقد استطاع الموقف الرسمي اللبناني، أو ما اصطلح على تسميته «بموقف الدولة»، أن يستفيد من هذا الموقف ونمو التيار الشعبي المؤيّد له، فيسكت عن الغزو الاسرائيلي للأراضي اللبنانية، ويمتنع عن ادانته أو استنكاره، برغم أنه هدأ مستريح البال والخاطر على أطراف القصر الجمهوري في بعبدا. ورفض أن يقدّم شكوى رسمية الى مجلس الأمن الدولي ضده، أو القبول بمشروع قرار مصري ــ فرنسي مشترك. ولم يبدُ خلال هذه الفترة، أن الجيش اللبناني يمتلك قراراً بالتصدي الحازم والجدّي. وباستثناء رسالة رئيس الجمهورية اللبناني التي يستنكر فيها تدمير بيروت ــ بعد فترة من الحصار، والاحتجاجات الصادرة عن رئيس الحكومة اللبنانية على وحشيّة القصف الاسرائيلي التي فاقت كل حدود، والتي بلغت في لحظة من اللحظات درجة دفعته الى «استقالة» عاد عنها لاحقاً، وهي كلها أمور كانت الأغلبية الاسلامية المتعرضة لنار الغزو الاسرائيلي تضغط بصورة قويّة متسبّبة بها ــ فانه بالاجمال، لم يخرج الموقف الرسمي اللبناني عن حدود «التنسيق» مع الموقف الأميركي، و«الوساطة» مع الطرف الفلسطيني، و«السكوت والمهادنة» تجاه الطرف الاسرائيلي.

ترى، هل كان ممكناً انتظار موقف مخالف من «الدولة اللبنانية» في زمن «معاهدة الصلح» التي افتتحتها مصر، وفي أيام «مشاريع السلام» التي ما تزال تتواصل مذّاك؟؟ وهل كان ممكناً أن نرى منها تصدّياً وصموداً حين لا تصدي ولا صمود؟ أما الدعم العسكري والسياسي العربي، فلم تثبت الأحداث أنه تعدى بصورة جدّية حدود الكلام المعلن. وبكل حال، لم يصل الى مستوى الدعم الذي تقدمه الولايات المتحدة لاسرائيل والموقف المناهض لحركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي في المنطقة.

وكيفما كان الجواب على هذه الأسئلة، وقد يكون بعضه محرجاً أو بغير أوانه اليوم، فمما لا شك فيه، أن موقف «المهادنة» في منعطفات التاريخ الحاسمة ولحظاته الأشد خطورة من عمر الصراع العربي الاسرائيلي، انما صبّ في صالح استمرار العدوان الاسرائيلي، وفوزه بالكثير من أهدافه وأمانيه في لبنان والمنطقة العربيّة.